

في دينامية الصناعة المعجمية الأمازيغية بالمغرب: مقاربة بيبليوغرافية كرونولوجية

د. محمد أمحدوك

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بني ملال خنيفرة

تقديم

رغم أن الصناعة المعجمية تشكّل مبحثاً رئيساً في الدراسات اللسانية الأمازيغية، لما لها من دور فعّال في بناء الأمازيغية المعيار الموحدة، إلا أن أغلب الباحثين الأمازيغ انصرفوا إلى دراسة المكونات اللسانية الأخرى. وقد يُعزى السبب في ذلك إلى إقصاء مكّوني المعجم والدلالة من قبل أهم مدرسة لغوية وشملت تاريخ الدرس اللساني في خمسينات القرن الماضي، ويتعلّق الأمر بالمدرسة التوليدية التي أولت اهتمامها، منذ النموذج ما قبل المعيار، إلى التركيب. ومع ذلك، شهدت السيرة الأليكسيكوغرافية الأمازيغية في المغرب أعمالاً بارزة منذ القرن الثاني عشر الميلاديّ مع ابن تونرت والهلالي والماريني وغيرهم، إضافة إلى بعض المحاولات الكولونالية التي شهدت المنطقة بين منتصف القرنين التاسع عشر والعشرين مع مستمزيغين فرنسيين وإسبانيين وهولنديين، مثل: باصي (Basset) (1890)، وجوردان (Jordan) (1934)، وإيبانيز (Ibañez) (1959-1944)، فضلاً عن جملة الدراسات المعجمية الحديثة والمسارد اللغوية ذات الطابع الأكاديمي والموضوعاتي، مثل: الطابفي (1989)، وأوسيكوم (1995)، وأزدود (1997)...، والأعمال المؤسسية المهمة التي قامت بها أكاديمية المملكة المغربية والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

وإذا كانت الصناعة المعجمية الأمازيغية، قد مرّت، كغيرها من المباحث اللسانية، بمراحل تأرجحت بين العطاء والتضوب، ارتبط فيها المحلي بالكولونيالي، والتقليدي البسيط بالعلمي الأكاديمي، فإن شرعية التساؤل تتجلى في طبيعة هذه المراحل، فما ممیزاتها؟ وما المعايير التي يمكن الاستناد إليها في تصنيفها وتمييزها؟ وما أبرز الأعمال المعجمية والقاموسية الرائدة في مجال التأليف المعجمي الأمازيغي في المغرب؟ وقبل ذلك كلّ، أين تتجلى أهمية البحث في المعجم الأمازيغي ذاته؟

1) الْمَوْجَّهَاتُ الْمَفَاهِيمِيَّةُ لِلدِّرَاسَةِ

لأنَّ "المُصطلحاتَ مَفَاتِيحَ الْعُلُومِ"⁽¹⁾، سنُحاولُ في الفقرةِ المواليةِ تحديداً بعضَ المفاهيمِ المركزيَّةِ في هذا الموضوعِ، لما نعرفه من فوضى مصطلحيَّة، حيثُ يلقها الغموضُ واللبسُ، وتعتبرُ دواءً لمدلولٍ واحدٍ، مستوفين بعضَ معالمِها وتفاصيلِها، كما بسطتها بعضُ المعجماتِ والدِّراساتِ المتخصِّصةِ.

أ. الْمُعْجَمُ وَالْقَامُوسُ

المعجمُ في اللُّغة من الجذرِ الثَّلَاثِي الصَّحِيحِ "ع / ج / م"، يقول ابنُ جَنِّي (ت. 392هـ): "اعلم أنَّ عجم وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضدَّ البيان والإفصاح، فالعُجْمة: الحبسة في اللسان، ومن ذلك رجلٌ أعجم وامرأةٌ عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما"⁽²⁾. وتجمع كلمة "معجم" على "معجمات" تطبيقاً للقاعدة الصَّرْفِيَّة التي تقول إنَّ الوصف من اسمي الفاعل والمفعول يجمع جمعاً سالماً لا مكسراً لمشابهته الفعل لفظاً ومعنى، غير أنَّ الاستعمالَ الجاري على الألسنة يثبت الجمع "معاجم" استناداً إلى نظائره، مثل: "مصحف ومصاحف" و"مصعب ومصاعب"... والمعجم في الاصطلاح كتابٌ يضمُّ عدداً كبيراً من المفردات اللُّغويَّة مقرونةً بشرحها، ومرتبَّة ترتيباً خاصاً بحسب طريقة كلِّ مؤلِّف⁽³⁾. والمعجم الكامل هو الذي يضمُّ كلَّ كلمةٍ في اللُّغة مصحوبةً بشرح معناها، واشتقاقها، وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها⁽⁴⁾. وقد استعمل بعض اللُّغويين الذين حاولوا جمع اللُّغة للدلالة على المعنى نفسه كلمة "قاموس"، استناداً إلى معناها اللُّغوي، لأنَّها من "قمس في الماء يقمس قموساً: انغطَّ ثم ارتفع، وقمسه فانقسم أي غمسه فيه فانغمس، يتعدى ولا يتعدى، والقاموس: قعر البحر. وفي الحديث الشريف: "قال قولاً بلغ به قاموس البحر" أي قعره الأقصى. وقيل القاموس: معظم ماء البحر أو وسطه"⁽⁵⁾. ولذلك حرصوا على إطلاق اسم البحر أو صفةٍ من صفاته على مصنَّفاتهم المعجميَّة، فأطلق الصَّاحِبُ بن عبَّاد (ت. 385هـ) على معجمه اسم "المحيط"، وأطلق ابن سيدة الأندلسي (ت. 458هـ) على عمله "المحيط الأعظم"، وسمَّى الصَّاغَانِي (ت. 650هـ) معجمه "العُباب الزاخر"، وأطلق الفيروزآبادي (ت. 816هـ) على مصنَّفه اسم "القاموس المحيط"...⁽⁶⁾ ولما قدَّر لمعجم "القاموس المحيط" أن يروج بين العلماء

¹ يوسف بن أبي بكر بن محمَّد بن علي السكاكي، مفاتيح العلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)، 150.

² أبو الفتح عثمان ابن جَنِّي، سرُّ صناعة الإعراب، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954)، 40.

³ أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم اللُّغويَّة وطرق ترتيبها، (عمَّان: دار الرأية، 1992)، 13.

⁴ إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، (بيروت: دار العلم للملايين، 1990)، 03.

⁵ أبو الفضل جمال الدِّين ابن منظور، لسان العرب، (الجزائر: دار صبح، 2008)، 182.

⁶ عبد القادر أبو شريفة، علم الدلالة والمعجم العربي، (عمَّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1989)، 113 - 114.

وَيُغْنِيهِمْ عَنْ غَيْرِهِ، فَلَا يَسْتَعْمَلُوا سِوَاهُ، صَارَتْ كَلِمَةُ "الْقَامُوسِ" تَطْلُقُ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ مُعْجَمِيٍّ آخَرَ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ اسْمِ أَحَدِ أَفْرَادِ النَّوعِ عَلَى النَّوعِ كُلِّهِ⁽⁷⁾، أَوْ مِنْ بَابِ "تَعْمِيمِ الدَّلَالَةِ" حَسَبَ تَعْبِيرِ إِبْرَاهِيمِ أَنْيَسٍ⁽⁸⁾.

وَبِتَطَوُّرِ الْبَحْثِ اللَّسَانِيِّ وَتَعَدُّدِ نَظَرِيَّاتِهِ وَأَدَوَاتِهِ التَّحْلِيلِيَّةِ وَالتَّفْسِيرِيَّةِ، ظَهَرَتْ مَحَاوِلَاتٌ كَثِيرَةٌ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَصْطَلَحِينَ، خُصُوصاً بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَتْ كَلِمَةُ "قَامُوسٍ" مُرَادِفَةً لِكَلِمَةِ "مُعْجَمٍ" فِي "الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ" لِمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ، وَ"الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ الْأَسَاسِيِّ" لِلْمَنْظَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلتَّرْبِيَةِ وَالْعُلُومِ وَالثَّقَافَةِ. فَاسْتَخْدَمَ عَبْدُ الْعَلِيِّ الْوُدُغِيرِيُّ كَلِمَةَ "مُعْجَمٍ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى "الْمَجْمُوعِ الْمَفْتَرَضِ وَاللَّامَحْدُودِ مِنَ الْوَحْدَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ الَّتِي تَمْتَلِكُهَا جَمَاعَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ بِكَامِلِ أَفْرَادِهَا، أَوْ يُمْكِنُ أَنْ تَمْتَلِكَهَا احْتِمَالاً بِفَعْلِ الْقُدْرَةِ التَّوْلِيدِيَّةِ الْهَائِلَةِ لِلُّغَةِ (lexique)، وَاسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ "قَامُوسٍ" لِلتَّعْبِيرِ عَنْ كُلِّ كِتَابٍ يَجْمَعُ مِنَ الْوَحْدَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ الَّتِي تَحَقُّقُ وَجُودَهَا بِالْفِعْلِ فِي لِسَانٍ مِنَ الْأَلْسِنَةِ، وَيَخْضَعُهَا لِتَرْتِيبٍ وَشَرْحٍ مُعَيَّنِينَ"⁽⁹⁾. وَتَبَنَّى عَبْدُ الْقَادِرِ فَاسِي الْفَهْرِيُّ الْمَوْقِفَ ذَاتَهُ فِي كِتَابِهِ "الْمُعْجَمِ الْعَرَبِيِّ"⁽¹⁰⁾، بَعْدَ أَنْ خَصَّصَ فِي دِرَاسَتِهِ (تَعْرِيبُ اللُّغَةِ وَتَعْرِيبُ الثَّقَافَةِ) "الْمُعْجَمِ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى "الْمَخْزُونِ الْمَفْرَدَاتِيِّ الَّذِي يُمَثِّلُ جُزْأً مِنْ قُدْرَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُسْتَمْعِ اللُّغَوِيَّةِ"، وَجَعَلَ لَفْظَ "الْقَامُوسِ" دَالًّا عَلَى "لَا نَحْثُ الْمَفْرَدَاتِ وَمَعَانِيهَا الَّتِي يَضُمُّهَا كِتَابٌ"⁽¹¹⁾. وَخَصَّصَتْ لَيْلَى الْمَسْعُودِي لَفْظَ "الْمُعْجَمِ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَعَاجِمِ مُتَعَدِّدَةِ اللُّغَاتِ الَّتِي لَا تَشْتَمِلُ عَلَى تَعْرِيفَاتٍ، وَلَفْظَ "الْقَامُوسِ" لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمُعْجَمِ الْأَحَادِيِّ لِلُّغَةِ أَوْ مُتَعَدِّدِ اللُّغَاتِ الَّذِي يَقْدَمُ النُّعْرِيفَاتِ⁽¹²⁾. فِي حِينٍ عَرَّفَ حَسَنُ حَمَائِزُ "الْقَامُوسَ" بِاعْتِبَارِهِ كُلَّ مُؤَلَّفٍ يَجْمَعُ لَانْحَثَ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي تَحَقُّقُ وَجُودَهَا بِالْفِعْلِ فِي لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ، وَالَّتِي أَخْضَعَتْ لِتَرْتِيبٍ وَشَرْحٍ مُعَيَّنِينَ"⁽¹³⁾.

وَاسْتَعْمَلَ الْمُعْجَمُ فِي الْأَبْحَاثِ الْغَرِيبَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَجْمُوعِ الْمَفْتَرَضِ وَاللَّامَحْدُودِ مِنَ الْوَحْدَاتِ الْمُعْجَمِيَّةِ الَّتِي تَمْلِكُهَا جَمَاعَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُعَيَّنَةٌ بِكَامِلِ أَفْرَادِهَا، بِفَعْلِ الْقُدْرَةِ التَّوْلِيدِيَّةِ الْهَائِلَةِ لِلُّغَةِ. وَهُوَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ جُورْجُ مُونَان (Mounin)

⁷ علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2003)، 10.

⁸ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1976)، 54.

⁹ عبد العالي الودغيري، "قضية الفصاحة في القاموس العربي"، مجلة اللسان العربي، ع. 33، (1989)، 130.

¹⁰ عبد القادر فاسي الفهري، المعجم العربي، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر والتوزيع، 1986)، 13 - 14.

¹¹ عبد القادر فاسي الفهري، "تعريب اللغة وتعريب الثقافة"، المجلة العربية للدراسات اللغوية، (1985)، 73.

¹² ليلي المسعودي، "ملاحظات حول معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية"، مجلة اللسان العربي، (46)، (1998)، 166.

¹³ حسن حمائز، التنظير المعجمي والتنمية المعجمية، (عمان: عالم الكتب الحديث، 2002)، 94.

(G.)¹⁴ وآلان راي (Rey (A.))¹⁵؛ حيث يعتبرانه مجموع الوحدات الدالة في لغة معينة. ويقدمه جون ديوبوا (Dubois (J.)) من زاويتين، تنظر إليه الأولى إما باعتباره كتاباً يحتوي على لائحة من المفردات المستعملة من طرف كاتب معين، أو مرتبطة بعلم من العلوم، أو باعتباره "قاموساً" ثنائي اللغة، يقدم مداخلة على شكل مقابلات لغوية مختصرة. أما الزاوية الثانية، فيرى من خلالها المعجم على أنه مجموع الوحدات المعجمية عند جماعة لغوية معينة¹⁶. أما القاموس، فهو مادة ثقافية تقدم معجم لغة (أو لغات متعددة) مرتباً ترتيباً ألفبائياً، وترفق كل مدخل معجمي بمجموعة من المعلومات (طريقة النطق، وأصله، وفننه النحوية، وتعريفه، وبنيته، وسيقات استعماله، ومرادفاته، وعباراته المسكوكة...) ¹⁷. فيما يتحدد عند مشيل كلاتيني (Michel Glatigny) ولوسيان كولignon (Lucien Collignon) بوصفه "مدونة تتكون من كلمات لغة معينة، أو مفردات علم أو فن، مصحوبة بدلالاتها، ومرتبطة ترتيباً ألفبائياً أو أي ترتيب آخر"¹⁸.

وللتوقف على حجم الاستعمال العربي المعاصر للفظتي "معجم" و"قاموس"، قام علي القاسمي بدراسة إحصائية موضوعية، رجع فيها إلى حوالي 1235 عملاً معجمياً متداولاً في الوطن العربي، توصل من خلالها إلى أن الاستعمال المعاصر للمفردتين "معجم" و"قاموس" يقع بوصفهما مترادفتين. ويغلب في الوقت ذاته إطلاق اسم "معجم" على المعاجم الأحادية اللغة، وإطلاق اسم (قاموس) على المعاجم الثنائية اللغة، مهما كانت أهميته وفائدة استخدامه¹⁹. وحتى لا نزيد الأمر التباساً، نستعمل في هذه الدراسة مصطلحاً واحداً للتدليل على المصنف المعجمي، سواء كان من المعجمات الأحادية اللغة أو ثنائية اللغة، وهو "القاموس"، بما هو مجموع كلمات لغة معينة، تكون مرتبة، بين دفتي كتاب، ترتيباً ألفبائياً (في الأغلب الأعم)، ومعززة بمعلومات صرفية أو صوتية أو نحوية أو دلالية أو موسوعية...

ب. الْمُعْجِمِيَّةُ وَالصَّنَاعَةُ الْمُعْجِمِيَّةُ

يتم التمييز في اللسانيات الحديثة بين مصطلحين أساسيين: المعجمية (Lexicologie) من جهة، والصناعة المعجمية (Lexicographie) من جهة ثانية. وبالعودة إلى الترجمة العربية، يتضح أن الفرق يكمن في الاختلاف بين اللاحقتين (-logie) و(-graphie)؛ حيث تشير الأولى، ذات الأصل اليوناني، إلى علم أو بحث

¹⁴ Géorge Mounin, Dictionnaire de la Linguistique, Paris: Presse Universitaire de France, 1974, 203.

¹⁵ Rey Alain, Le lexique, Images et Modèles du Dictionnaire à la Lexicologie, Paris: Librairie Armand Colin, 1977, 163.

¹⁶ Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique, Paris : Larousse, 1973, 297.

¹⁷ Idem, 151.

¹⁸ Lucien Collignon & Michel Glatigny, Les Dictionnaires : Initiation à la Lexicographie, Paris : CEDIC, 1978, 12.

¹⁹ علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2004)، 17 - 19.

أو دراسة، في حين تحيلُ الثانيةُ إلى الكتابة أو الخطاطة أو الرّسم؛ وبذلك فإنّ المصطلح الأول يبحث في المفردات اشتقاقاً، وأبنيّةً، ودلالاتٍ معنويّةً وإعرابيّةً، إضافةً إلى الاهتمام بالتّرادف والاشتراك اللفظي، والتّعبير الاصطلاحيّة والسّباقية، أي أنّه يحفلُ بدراسة كلّ ما يتعلّق بالمفردات أو الوحدات المعجميّة داخل المعجم⁽²⁰⁾. ويعتبرُ المصطلحُ الثّاني الجانب التّطبيقيّ للأول، ويتأسّسُ موضوعه على المبادئ والأصول التي تقومُ عليها صناعة المعجمات من حيث جمع المادّة وترتيب المداخل والمشتقّات وشرحها في ضوء المعجم المراد وضعه وحجمه والهدف منه⁽²¹⁾.

وعلى ضوء مجموعة من الأعمال، مثل أبحاث ديوبوا وآخرين (Dubois (J.) et autres)⁽²²⁾، وجورج مونا (Géorge Mounin)⁽²³⁾، وآلان راي⁽²⁴⁾، ومحمد سغوال⁽²⁵⁾... يمكن القول إنّ الصّناعة المعجميّة فنٌّ أو تقنيّة تهتمّ صناعة القواميس بشتّى أنواعها وتحليل وحداتها اللّسانية. وتتبع في ذلك خطواتٍ معيّنة يمكن إجمالها في خمس مراحل أساسيّة: جمع المعلومات والحقائق اللّغويّة، واختيار المداخل، وترتيبها وفق نظامٍ معيّن، وكتابة الموادّ، ونشر النّاتج النّهائي⁽²⁶⁾. غير أنّ من المعجميّين من يعتقد أنّ الصّناعة المعجميّة ليست علماً، بل هي فنٌّ لا يمكن أن يتقيّد بالطّرائق الموضوعيّة التي يتّبعها علم اللّغة الحديث، وقد أضاف القاسمي على لسان فيليب كوف (Gove (Ph.)): "لم تصبح الصّناعة المعجميّة علماً بعد، وربّما لن تصبح علماً أبداً، فهي فنٌّ معقّد ودقيق، وبالعِصّة الصّعبة أحياناً، يتطلّب تحليلاً ذاتيّاً، وقراراتٍ اعتباطيّة واستنتاجاتٍ حدسيّة"⁽²⁷⁾.

2) أَهَمِّيَّةُ البَحْثِ فِي المُعْجَمِ الأَمَازِغِيِّ

تلبي المعجمات الأمازيغيّة حاجاتٍ لغويّة واجتماعيّة وثقافيّة وتربويّة كثيرة، إذ تساهم في تيسير تدريس اللّغة الأمازيغيّة عبر توفيرها للمعلومات الفيلولوجيّة والنّحويّة والصّرفيّة والدلاليّة المتعلّقة بالمداخل المعجميّة كبيان معاني الصّيغ الصّرفيّة، وذكر الجنس الذي يشير إليه اللفظ، ونوع الفعل من حيث التّعديّة واللّزوم، والحروف التي تتعدّى بها الأفعال، وفهم خصوصيّات بعض الطّواهر اللّغويّة كالاشتراك، والتّرادف، والتّضمّن، وتاريخ الألفاظ وتطوّرها، واختلاف

²⁰ سناني سناني، في المعجميّة والمصطلحيّة، (إريد: عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، 2012)، 29.

²¹ حلمي خليل حلمي، علم المعاجم عند أحمد فارس الشّدياق، منشورات الجمعيّة المعجميّة العربيّة، (تونس: دار الغرب الإسلامي، 1987)، 201.

²² Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique, Paris : Larousse, 1973.

²³ Mounin, Dictionnaire de la Linguistique, 202.

²⁴ Rey, Le lexique: Images et Modèles du Dictionnaire à la Lexicologie, 114.

²⁵ Mohamed Serhoual, Dictionnaire Tarifit - Français, Thèse de Doctorat, Tétouan : Université Abdelmalek Essaadi, 2002, 28.

²⁶ القاسمي، علم اللّغة وصناعة المعجم، 3.

²⁷ القاسمي، علم اللّغة وصناعة المعجم، 2.

استعمالاتها...⁽²⁸⁾، والإحاطة بمختلف الأبعاد السوسيوثقافية للمجتمع الأمازيغي من خلال المحافظة على سلامة لغته، وضبط مفرداتها في أصولها وتصريفاتها ونطقها الصحيح، وتدوينها خشية ضياعها، لا سيما في حياة فصائها. كما تمكن أيضاً من الكشف عن معاني الألفاظ المجهولة والغامضة في القوائد الشعرية الغربية والقطع النثرية المتروكة ببيان اشتقاقاتها وجموعها ومصادرها...، خصوصاً عند تعدد معانيها واختلاف دلالاتها.

وطالما أن اللغة الأمازيغية موسومة، في الأغلب، بالطابع الشفهي، فإن المعجمات قديمة بتخزين الشواهد الشعرية التي كانت لتفقد بموت أصحابها الذين لم تجمع أشعارهم؛ مما يسهل العثور على شاهد من الشواهد اللغوية والنحوية ومعرفة قائلها. وإضافة إلى ذلك فهي تعين على تحديد أماكن بعض المواقع الجغرافية والمدن التاريخية، مما يجعل اللغة الأمازيغية قادرة على مواكبة مختلف العلوم والفنون والمهن، وهذا دليل على سعتها وشمولها، وأنها حية ولود معطاء، ولديها القدرة على تلبية مطالب الحياة الحضارية⁽²⁹⁾. ولا غرو في ذلك، ما دام تاريخها يعود لمئات السنين. وقد لا تتأتى، من جانب آخر، دراسة الشخصية المغربية وفهم عقليتها إلا بالبحث في أحد العوامل الحضارية والثقافية المسهمة في تشكل "الإنسية المغربية" طوال قرون خلت؛ ألا وهو عامل المعجم الأمازيغي أو "أوال أمازيغ" (اللسان النبيل) كما سمّاه بذلك الحسن الوزان⁽³⁰⁾. لأنه الكفيل بتمتين الدعامات التي تتأسس عليها الثقافة المغربية، والتعريف بأحد الجوانب الجوهرية المكونة للقلب النابض للحضارة المغربية. ولما كان هناك تفاعلٌ جدلي بين الوجدان والعقل، من جهة، وبين اللغة أو اللغات المتداولة يومياً، من جهة أخرى، فإن لذلك وقعاً تنعكس آثاره على مستوى النشاط الفكري ومقوماته السيكلوجية. وكان المستعمر، وعباً منه بما للبيئة من أهمية بالغة في فرض نمط العيش وتكييف اللغة، قد انتبه إلى ذلك حين أقدم على دراسة الشخصية المغربية، فتوصل إلى معرفة جوانب كثيرة منها، في الوقت الذي كان فيه المغاربة غافلين (أو متغافلين) عن وجود خصائص ثقافية يميزون ويمتازون بها، ومن بين هذه الخصائص: "اللغة الأمازيغية"⁽³¹⁾.

وانطلاقاً من التفاعل بين اللغة والبيئة، تختلف اللغات واللهجات، وتتحدد المكانة التاريخية والدينية والسياسية والاقتصادية للأشخاص الناطقين بها⁽³²⁾. وعلى

²⁸ محمد أمحدوك، النظرية الحقلية والصناعة المعجمية الموضوعاتية: نحو صناعة معجمية موضوعاتية جديدة، (عمان: دار المعتر للطباعة والنشر والتوزيع، 2019)، 180 – 181.

²⁹ أبو شريفة، علم الدلالة والمعجم العربي، 115.

³⁰ محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة معاجم، (الرباط: مطبعة الفن التاسع، 1990)، 4.

³¹ شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، 04.

³² في الوقت الذي كانت فيه الفرنسية والإسبانية والألمانية لهجات وتنوعات لغوية معزولة، كانت اللاتينية واليونانية القديمة تتمتعان في أوروبا بامتيازات كثيرة خلال مراحل تاريخية معينة، غير أن هاتين الأخيرتين أصبحتا بعد ذلك لغتين ميتتين، بينما صارت اللهجات القديمة هي اللغات الرسمية

غرار معاجم كل اللغات الطبيعية، عرف معجم اللغة الأمازيغية تحولات وتغيرات كثيرة، كان فيها للعامل الجغرافي دور كبير، لأن اتصال اللهجات والتنوعات اللغوية ببعض، واتصال اللغة الأمازيغية بغيرها من اللغات، يتأثر بما بينها من حواجز طبيعية ومسافات بعيدة؛ إذ كلما ابتعد المتكلمون عن بعضهم، كلما بدا ذلك جلياً على المستوى المعجمي، وحتى على المستوى الصوتي، حيث "تتخصص" كل لهجة في مجال معجمي وثيق الصلة بنمط العيش المميز للمنطقة الجغرافية التي استقرت فيها القبائل الناطقة بها. ومن ثم تعرف، مثلاً، اللهجة السوسية المغربية ثراءً واضحاً بالألفاظ الدالة على ما يتصل بالبحر (حقل الأسماك مثلاً)، بينما نجد التنوع اللغوي الأطلسي غنياً بمفردات لصيقة بمجال الرعي وأسماء النباتات وأشجار الغابة، في حين تحفل "القبائلية" بأسماء الأشجار البستانية، وتزخر "الطوارقية" بالكلمات الخاصة بالبيئة الصحراوية⁽³³⁾. وعلى الرغم من ذلك، يوجد نوع من التجانس الضمني بين جميع اللهجات الأمازيغية وتنوعاتها المحلية في كل ربوع المغرب الكبير. ولعل ما يؤكد ذلك اشتراكها في عدد كبير من الجذور. وهو ما أكده أندري باصي (André Basset) سنة (1949م) في مقال نشرته له مجلة (Le monde non chrétien)، لاحظ فيه أن بنية اللغة الأمازيغية وعناصرها وأشكالها الصرفية تتسم بالوحدة؛ بحيث يمكن تعلم أية لهجة أمازيغية في أيام قليلة جداً، إذا كان الإنسان متمكناً من إحدى اللهجات الأخرى، عبر الاستعانة بالتجربة، لأن اللغة هي نفسها⁽³⁴⁾.

وقد حفلت الصناعة المعجمية الأمازيغية في المغرب، في هذا السياق، بالبحث في التنوعات اللهجية، فظهرت، بدايةً، الرسائل اللغوية ثنائية اللغة (عربية - أمازيغية) على شكل مخطوطات في القرن الثاني عشر الميلادي مع ابن تونرت (ت. 1172م)، وفي القرن الثامن عشر مع الهلالي والمارتيني، مستهدفة تقريب النص الديني العربي من "إمازيغن" (الأمازيغ)، وتسهيل التواصل الإداري والاجتماعي بين المغاربة عامة. ثم ما لبثت أن تلبست من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى غاية النصف الأول من القرن العشرين لبوساً جديداً على يد مجموعة من المستمزين، قام أساساً على التقابل الفرنسي - الأمازيغي مع فونتير دو بارادي (De Paradis (V.))، أو الإسباني - الأمازيغي مع إيبانيز (Ibañez (E.))... حتى تخدم مصالح وأهداف الإدارة الاستعمارية. وما فتئت أن ظهرت إنتاجات قاموسية متكاملة تناولت جوانب مختلفة ومتعددة من المعجم الأمازيغي مع كل من الطائفي، وشفيق، وأزدود، وأوسيكوم، وأمدوك... دون إغفال إصدارات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية...

ولغات الامتياز والمكانة الاجتماعية، وهي التي سيتولد عنها أيضاً لهجات أخرى تصير بدورها لغات رسمية، وهكذا. إنها سنة اللغات في الأرض، آلة دائمة الدوران عبر التاريخ.

³³ شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، 8.

³⁴ م. ن.

3) سِرْوَرَةُ الْبَحْثِ الْمُعْجَمِيِّ الْأَمَازِغِيِّ فِي الْمَغْرِبِ

كغيرها من المباحث اللسانية، مرّت الصناعة المعجميّة الأمازيغيّة في المغرب بمراحل كثيرة ومتباينة، حيث انتقلت من الرسائل والمسارد المخطوطة (Glossaires) ثنائيّة اللّغة (عربيّة – أمازيغيّة) في القرن الثّاني عشر الميلاديّ إلى الأعمال التّقابليّة الفرنسيّة - الأمازيغيّة والإسبانيّة - الأمازيغيّة خلال المرحلة الحماينيّة، ثمّ لنتج في النّصف الثّاني من القرن العشرين مصنّفات أكاديميّة رائدة ودراسات مصطلحيّة غزيرة.

وبالاستناد إلى الترابط التّاريخيّ - الموضوعاتيّ، تناول عبد الله بونفور (1991) هذه المراحل، وبسط أهمّ تحولاتها عبر التّصنيف الثّلاثيّ: المرحلة الأداتيّة (Utilitaire)، والمرحلة اللّهيّة (Dialectale)، والمرحلة بعد الكولونياليّة (Postcoloniale)⁽³⁵⁾. فيما درسها محمّد سغوال (2002)، من زاوية أخرى، واقترح لها تصنيفاً ثلاثيّاً أيضاً: الصناعة المعجميّة النّفعية، والصّناعة المعجميّة اللّهيّة، والصّناعة المعجميّة العلميّة⁽³⁶⁾. وهو كذلك ما ذهب إليه عبد الله بومالك (2005)، وهو يقدّمها في ثلاث محطّات كبرى: مرحلة الإنتاج القاموسيّ المخطوط، ومرحلة المعاجم الكولونياليّة الثّنائيّة، ومرحلة المعاجم المتخصّصة⁽³⁷⁾. ويبدو التّقارب والتّكامل كبيراً بين التّصنيفات الثّلاثة؛ إذ عرفت المرحلة الأداتيّة ظهور إنتاجات قاموسيّة مخطوطة أدّت وظائف نفعيّة معيّنة (توثيق عمليّات البيع والشراء، وكتابة الوصفات الطّبيّة السّعييّة، وشرح القضايا التّعبدية والعقدية الإسلاميّة...). فيما انتشرت، لأغراض استعماريّة، المعاجم ثنائيّة اللّغة أو اللّهيّة في المرحلة الكولونياليّة، بينما اتّسمت المرحلة بعد-الكولونياليّة بظهور الإنتاجات المعجميّة المتخصّصة والأكاديميّة. ونقترح في السّياق ذاته تصنيفاً كرونولوجيّاً ثلاثيّاً أيضاً، غير أنّه يركّز على الحضور الاستعماريّ بالمغرب، وما رافق ذلك من ديناميّة سوسيوثقافيّة ومعرفيّة، ويجمع بين التّصنيفات السّالفة، ويزيدها وضوحاً:

❖ **المرحلة قبل - الكولونياليّة:** وهي المرحلة التمهيدية الأولى للصّناعة المعجميّة الأمازيغيّة، وتمتدّ من سنة 1145م إلى بدايات التّغلغل الاستعماريّ في المغرب وكلّ بلدان شمال إفريقيا (1844م).

❖ **المرحلة الكولونياليّة:** تتضمّن ما أنتج من أعمال ودراسات معجميّة خلال الفترة الاستعماريّة والحماينيّة (1844م - 1956م).

❖ **المرحلة بعد - الكولونياليّة:** يُمكن بسط سماتها الكبرى من خلال مرحلتين أخريين يصعبُ كثيراً الفصلُ بينهما، لأنهما متداخلتان ومتكاملتان:

³⁵ Abdella Bounfour, La Lexicographie Berbère, (Paris: De Gruyter, 1991), 2455 – 2457.

³⁶ Serhoual, Dictionnaire Tarifit-Français, 38.

³⁷ Abdella Boumalk, "Aperçu Historique sur les Travaux Lexicographiques Amazighes", (I. R. (CAL), Red.) Inghmissen N Usinag, N°26, Mars, 2005, p. 26–29.

➤ **المرحلة العلمية الأكاديمية:** كان وراء أغلب الأعمال المعجمية الأمازيغية في هذه المرحلة باحثون أكاديميون، وقد جاءت في إطار رسائل دكتوراه في اللغات والآداب داخل المغرب وخارجه.

➤ **المرحلة العلمية المؤسساتية:** ترتبط أساساً بتأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة 2001م، وما رافق ذلك من حركية معجمية واسعة، فضلاً عن أكاديمية المملكة المغربية التي كان خلف إصدار العمل القيم لمحمد شفيق "المعجم العربي - الأمازيغي" في تسعينات القرن الماضي.

1-3- الصناعة المعجمية الأمازيغية في المرحلة قبل - الكولونيالية

على الرغم من استعمال العلماء والفقهاء الأمازيغ، في هذه المرحلة، لأسماء المعاجم العربية في المناهج التعليمية العتيقة في مختلف الجوامع والمؤسسات التعليمية، كانت اللغة الأمازيغية لغة التدريس والشرح والتعليق (اللغة الأمازيغية هي اللغة الواصفة واللغة العربية هي اللغة الموصوفة). ولم تدع الحاجة وقتها إلى استعمال المعجم الأمازيغي. لكن اهتمام الفقهاء والعلماء والأطباء باستظهار النصوص العربية، غطى على جوانب كثيرة من المعرفة الأمازيغية، فأضحت الحاجة ماسة إلى استعادة هذه المعرفة واستثمارها في مجال الممارسة اليومية (العبادات، والمعاملات، والتوثيق، والطب، والصناعة...) (38). فظهرت تبعاً للمعاجم الثقابلية (العربية - الأمازيغية) الموضوعاتية، حتى يستفيد منها "العُدُول" في معرفة أسماء مصطلحات فقه المعاملات بالأمازيغية، لربطها بالأسماء المكتوبة باللغة العربية لغة التسجيل والتوثيق، واستعان بها الأطباء لتفسير معرفة المواد، والعطارون في الأسواق والطرق والحوانيت لفهم أسماء البضائع المطلوبة بالأمازيغية (39)... وقد اختلف في تسمية هذه الأعمال بين أسماء أربعة، هي: "كتاب الأسماء"، و"كشف الرموز"، و"القواميس المزدوجة"، و"المعاجم". وكانت جميعها مزدوجة اللغة (عربية - أمازيغية) ترتب مادتها حسب الموضوعات أو المجالات أو المعاني.

ولعل الأهم في هذه الأعمال، أو ما يعرف منها كثيراً، هو العمل المعروف بـ "كتاب الأسماء"، الذي قدّمه أبو عبد الله محمد بن تونرت (40) سنة (1145م) بالاعتماد على أمازيغية الجنوب المغربي (تأسلحيث أو تأسوسيث) في صورة معجم تقابلي

38 عمر بن عبيد الله بن علي النفيسي، المجموع اللائق على مشكل الوثائق، معجم عربي - أمازيغي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2007)، 7 - 8.

39 النفيسي، المجموع اللائق على مشكل الوثائق، 8.

40 ابن تونرت هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القيسي ابن تونرت، ولد في الجزائر ودرس بالأندلس، أقام واشتغل بفاس إلى وفاته في سنة 576هـ / 1172م (خير الدين الزركلي، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، 1976)، 54).

ثنائي اللغة: عربي - أمازيغي⁽⁴¹⁾، وقد ضمّ حوالي ألفين وخمسمائة مدخل⁽⁴²⁾، واستوحى صاحبه أسلوبه في ترتيبه حسب الموضوعات من "المختص" لابن سيده الأندلسي (ق. 5هـ). وقد وصفه الباحثة المغربي محمد المختار السوسي بأنه "ترجمة ألفاظ عربية بالشّلحة"⁽⁴³⁾.

وظهرت بعد ذلك معجمات تقابليّة (عربيّة - أمازيغيّة) شبيهة بكتاب ابن تونرت، امتدّت من القرن السادس عشر الميلاديّ إلى بدايات التّغلغل الاستعماريّ. ومن بين هذه الأعمال:

- "معجم الهلالي" المسمّى باسم صاحبه "الهلاليّ عبد الله بن شعيب" في أواسط القرن السابع عشر الميلاديّ (1665م). وقد حقّقه وترجمه المستمّزغ نيكو فان دين بوخارت (Nico Van Den Booghart) في سنة عشر فصلاً وتسعمائة وستة وثلاثين مدخلاً لغويّاً.

- "المجموع اللّانق على مشكل الوثائق" في القرن الثّامن عشر الميلادي، أعدّه عمر بن أبي الحسن علي⁽⁴⁴⁾ للعدول والقضاة، حتّى يستعملوا موادّه في عمليّات التّوثيق وكتابة الرّسوم العدليّة بالعربيّة، معتمداً على طريقة المنظومات التّعليميّة على غرار منظومة ابن عاشر في الفقه، والألفيّة في النّحو لابن مالك. وكانت منظومته مكتوبة بالّلغة العربيّة، ومشروحة بأمازيغيّة سوس المصموديّة السّائدة في جزولة وسوس ودرعة وأرباض مرّاكش ودمنات حتّى منطقة وادي النّفيس الّتي ينتمي إليها المؤلّف. وقد ترجم جاك بيرك (Jacques Berque) فصولاً منه، وقدمها للنّشر في "المجلة الإفريقيّة"⁽⁴⁵⁾.

- معجم "السّري السّعادة بالحسن وزيادة" المشهور بـ "معجم المارتيّني"⁽⁴⁶⁾، لإبراهيم بن علي الإسافنيّ الّويدانيّ السّوسي، وهو قاموس عربيّ - أمازيغيّ كان علي صدقي أزيكو قد حقّقه وقّمه سنة 2004م⁽⁴⁷⁾.

- "معجم مبارك" لأبي عبد الله محمد بن مبارك، وهو أيضاً قاموس عربيّ - أمازيغيّ ورد في كتاب "خلال جزولة" للمختار السّوسي⁽⁴⁸⁾. توجد نسخة منه تحت رقم 192 في خزانة مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء من ستّ صفحات.

⁴¹ النّفيسيّ، المجموع اللّانق على مشكل الوثائق، 9.

⁴² Boumalk, « Aperçu Historique sur les Travaux Lexicographiques Amazighes », 26.

⁴³ المختار السّوسي، خلال جزولة، (تطوان: مطبعة المهدية، 1959)، 177.

⁴⁴ هو الفقيه عمر بن عبيد الله بن أبي الحسن علي، أورد اسمه بشكل معقّد في آخر منظومته الشّعريّة الّتي شرحها في كتابه، وكان قد نظمها سنة 1177هـ/1765م في عهد السّلطان المغربيّ سيدي محمّد بن عبد الله، العهد الّذي نشطت فيه عمليّات البيع والشّراء ونشاط القضاة والعدول...

⁴⁵ Jacques Berques, "Un Glossaire National Arabe - Chleuh du Dern 18ème siècle", Revue Africaine, (94), 1950: 98 – 157.

⁴⁶ عشر سنة 2006م على نسخة منه في إقليم طاطا، عدد صفحاتها 224 صفحة، لكنّ بدايتها مبتورة ويعتريها أيضاً نقص واضح في النهاية.

⁴⁷ النّفيسيّ، المجموع اللّانق على مشكل الوثائق، 10.

وتتميّز هذه الأعمال - معجمياً - عن الدّراسات والأبحاث الحالية، من حيث ترتيبها وتبويبها للمادّة المعجميّة؛ إذ جاءت موضوعاتيّة (جسم الإنسان، والأمراض، والحيوانات المنزليّة، والنباتات، والأثاث...)، ومن حيث جمهورها؛ إذ استهدفت في الأغلب إعانة بعض المهنيين والحرفيين على أداء رسالتهم الوظيفيّة، والتّواصل مع غيرهم من العرب (الأطباء، والعدول، والقضاة...). ولا تزال أغلب إنتاجات هذه المرحلة على حالتها المخطوطة في مكتبة جامعة لايد (Leyde) بهولندا، وفي خزانة إكس أن بروفانس (Aix en Provence) بفرنسا، كما توجد أيضاً أعمالٌ مماثلةٌ محفوظةٌ في العديد من الجامعات والمؤسسات الوطنيّة والدوليّة وحتى لدى بعض الأفراد⁽⁴⁹⁾.

2-3- الإنتاج المعجميّ الأمازيغيّ في المرحلة الكولونياليّة

عرفت هذه المرحلة ظهور قواميس خاصّة تقابل اللّغة الأمازيغيّة، من خلال إحدى تنوّعاتها اللّهجيّة المختلفة، باللّغات الأجنبيّة (الفرنسيّة، أو الإسبانيّة، أو الإنجليزيّة...)، ومن ثمة جاء أصل التّسمية "الصّناعة المعجميّة اللّهجيّة"، لأنّ جلّ الدّراسات المعجميّة في هذه المرحلة اهتمّت بالبحث في اللّهجات والتنوّعات اللّغويّة أصواتيّاً وصواتيّاً وصرفيّاً، وترتيب مداخلها ألفبائيّاً أو جذريّاً... وكان الهدف من صناعة "المعجمات" في هذه المرحلة هو التّعريف على لغة الإنسان المغربيّ، وفهم ذهنيّته، وطريقة تفكيره، ومنطق كلامه، استعداداً لاستعمارِهِ وتطويقه اقتصاديّاً وسياسيّاً واجتماعيّاً وثقافيّاً فيما بعد... وعلى الرّغم من هذه الغايات الاستعماريّة، كان دورها إيجابيّاً؛ إذ جمعت المادّة اللّغويّة ووثقتها في أبحاثٍ مونوغرافيّة أو إثنوغرافيّة أو إثنولسانيّة...

ويعتبر معجم "النّحو والمعجم المختصر للّغة الأمازيغيّة"⁵⁰ لميشال دوفنتير دوبارادي (Michel de Venture de Paradis) المعجم الأوّل الذي وصل من هذه المرحلة، وقد اعتمد فيه على بحثين قام بهما قراء من المغرب (سوس وحاحا) ومن سبو (Sebou) القبائليّة، ونُشر سنة 1844م⁽⁵¹⁾. واهتمّ باحثون معجميون آخرون منذ بداية القرن العشرين بدراسة مختلف التنوّعات اللّغويّة الأمازيغيّة في المغرب، فنشرت أعمالٌ قاموسيّة كثيرةٌ لباحثين فرنسيّين وإسبان...، مثل:

-سيد كاوي (Cid Kaoui) صاحب "المعجم الفرنسي-الشّليّ والأطلسيّ"⁵² سنة 1907م؛

-إدمون ديستان (Edmond Destaing) (1872 - 1940م) صاحب "المعجم الفرنسي - البربريّ"⁵³ سنة 1914م، ودراسة حول تاشلحيّ سوس⁵⁴ سنة 1920م؛

⁴⁸ السّوسيّ، خلال جزولة، 60 - 63.

⁴⁹ Boumalk, Ibid., 26.

⁵⁰ Grammaire et Dictionnaire Abrégé de la Langue Berbère

⁵¹ Boumalk, « Aperçu Historique sur les Travaux Lexicographiques Amazighes », 26.

⁵² Dictionnaire Français-Tachelhit et Tamazight

⁵³ Dictionnaire Français - Berbère (Dialecte des Beni Snous)

-إميل لاوست (Emile Laouste) صاحب "كلمات وأشياء أمازيغية"⁵⁵، الكتاب الذي تناول سنة (1920م) جملة من القضايا المعجمية والإثنوغرافية الأمازيغية. جمعه خلال خمس سنوات، واعتمد فيه على لهجات منطقة دمنات، وخصوصاً لهجة "النّتيفة". وهو أشبه ما يكون بمعجم موضوعاتيّ فرنسيّ - أمازيغيّ، يتضمّن عشرة فصول، وكلّ فصل هو بمثابة مسرد أو معجم خاصّ أو دراسة مفهومة حول العادات والتقاليد الأمازيغية⁽⁵⁶⁾. السّكن، والتّغذية، والنباتات العطرية، والإعاقات والأمراض، والحصاد، والدّرس، والأعلاف...

-رينزيو (Renisio (A.)) صاحب كتاب "دراسة حول لهجات بني يزناسن الأمازيغية"⁵⁷ شرح فيه الكلمات الأمازيغية المتداولة في اللهجة الريفية (تأريفيّة) سنة (1932م)؛

-أنطوان جوردان (Antoine Jordan) صاحب "المعجم البربري-الفرنسي"⁵⁸ سنة (1934م)؛

-ميرسيي (H.) (Mercier (H.)) كاتب "معجم ونصوص أمازيغية من لهجة أيت إزدك"⁵⁹ سنة 1937م؛

-إيبانيز إستيبان (Ibañez (E.)) الذي قدّم معاجم كثيرة تقابل بين اللهجة الريفية (تأريفيّة) واللّغة الأسبانية:

- "المعجم الأسباني - الربيّ" سنة 1944م؛

- "المعجم الربيّ - الأسباني" سنة 1949م؛

- "المعجم الأسباني - الصّنهاجي" سنة 1959م؛

-أندري باصي (André Basset) صاحب أوّل معجم حول أمازيغية الرّيف بعنوان: (Loqman berbère) صدر بباريس سنة 1890، ترجم فيه حوالي سبع لهجات ريفيّة⁶⁰؛

-أرسين رو (Arsène Roux) الذي اهتم في عمله باللهجات الأطلسيّة (أيت سغروشن، وإزيان، وإشقيرن، وأيت عطا...)

وإضافة إلى هذه الإنتاجات القاموسية ذات الطّابع الإثنوغرافيّ والمونوغرافيّ، ظهرت أعمالٌ عديدة في فرنسا والجزائر استفادت من تقدّم مناهج البحث اللّسانيّ، ومن بينها: أعمال دولور (Delheure) حول المزابيّة والورغليّة (1984م و1987م)، ولاسيما "المعجم الطوارقي-الأمازيغي" لشارل دو فوكو (Charles De

⁵⁴ Étude sur la Tachelhit du Sous, Vocabulaire Français - Berbère

⁵⁵ Mots et Choses et Berbères

⁵⁶ Emile Laouste, Mots et choses berbères, Casablanca: Edition Frontispice, 2012, 525 – 531.

⁵⁷ Étude sur les Dialectes Berbères des Beni Iznassen du Rif et des Senhaja de Sraïr

⁵⁸ Dictionnaire Berbère - Français

⁵⁹ Vocabulaire et Textes Berbères dans le Dialecte des Ait Izdeg

⁶⁰ André Basset, Loqman Berbère, Paris : Ernest Leroux, 1890.

(Foucauld سنة 1951م)، والمعجم "القبائلي - الفرنسي" لجان ماري دالي (J.M. Dallet) سنة (1982م).

وعموماً، تُعتبر أعمال هذه المرحلة الأكثر انتشاراً وطبعاً، وتتميز عن الإنتاجات السابقة بقيمتها العلمية الواضحة، لأنها استفادت من التطور الكبير الذي شهدته الأبحاث الأمازيغية عموماً، واللسانية خصوصاً. ورغم ذلك، لا يمكن الحديث عن "معجم حقيقي" إلا في نهاية النصف الثاني من القرن العشرين، حين أضحت الليكسيكوغرافيا الأمازيغية مبحثاً علمياً قائماً بذاته في الدراسات الأمازيغية إسهوة بغيرها من اللغات.

3-3- الأعمال المعجمية الأمازيغية بعد - الكولونالية

باستثناء أعمال بعض الباحثين الأمازيغ مثل علي صديقي أزيكو، مرت الإنتاجات المعجمية اللغوية المحلية في صمت إبان المرحلة الكولونالية⁶¹. ولم يتم التفكير في وضع معاجم المفردات والمعاجم الموسوعية والثربوية والقانونية... إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، بإصرار كبير من باحثين حركهم هم تطوير المنجز اللغوي الأمازيغي، وبلورته في إطار برامج بحث تشرف عليها المؤسسات الوطنية العامة كالجامعات والمعاهد الوطنية الرسمية وبعض مراكز البحث شبه العامة والخاصة، كالمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية (IRCAM)، وأكاديمية المملكة المغربية، ومركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث... فتبلور نوع جديد من الرسائل والمسارد اللغوية (Les glossaires)، يختلف عما سبقه من رسائل لغوية من حيث طبيعته وجمهوره، مادامت الأعمال السابقة قد اقتصر على جمع المفردات السائدة في منطقة جغرافية معينة، وإعدادها لجمهور محدد (الأجانب والمهنيين). في حين كانت سنوات العقدين الأخيرين من القرن العشرين موشومة بدراسة المعجم الأمازيغي دراسة علمية أكاديمية، باعتباره مطلباً لسانياً أولياً، يمثل الاشتغال عليه تطويراً لأداتية اللغة الأمازيغية عامة. فظهرت أعمال قاموسية كثيرة تناولت مختلف اللهجات والتنوعات اللغوية الأمازيغية، مستهدفة توحيداً ومعييرتها⁽⁶²⁾.

وبناءً على ذلك، يمكن تقسيم الصناعة المعجمية الأمازيغية في هذه المرحلة إلى شقين مُتداخلين ومُتكاملين: الصناعة المعجمية العلمية - الأكاديمية، والصناعة المعجمية العلمية - المؤسساتية.

3-3-1 الصناعة المعجمية العلمية - الأكاديمية:

لقد استفادت هذه المرحلة كثيراً من الإنتاجات السابقة والتطور الكبير الذي عرفه البحث اللساني الأمازيغي عامة؛ حيث نُشرت قواميس عديدة تستجيب للشروط

61 Boumalk, «Aperçu Historique sur les Travaux Lexicographiques Amazighes», 29

62 Boumalk, Ibid.

والمعايير العلمية للصناعة المعجمية، نظرياً وتطبيقياً، داخل المغرب وخارجه. ومن أبرز الأعمال التي وسمت هذه المرحلة:

- المعجم الأمازيغي - الفرنسي لميلود الطايفي سنة (1989م)، وهو معجم يتناول معاني الكلمات والمفردات، ويقابل بين الكلمة الأمازيغية ونظيرتها الفرنسية⁽⁶³⁾؛

- المعجم الأمازيغي - الفرنسي (1995م) لبناصر أوسيكوم، الذي ركز فيه كثيراً على لهجة "أيت ورا" بالأطلس المتوسط، وقد أعدّه لنيل شهادة الدكتوراه من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال سنة 1995م⁽⁶⁴⁾؛

- المعجم المشترك لأيت حديدو بالأطلس المتوسط لإدريس أزودو، وقد صدره بمقدمة حول المعجمية الأمازيغية وبحث في الاشتقاق الفعلي. وهذا المعجم عبارة عن أطروحة جامعية تقدم بها الباحث إلى جامعة شعيب الدكالي بالجديدة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات سنة 1996م⁽⁶⁵⁾؛

- المعجم السوسي لعبد الله بومالك سنة 1996م، وهو معجم خاص بلهجة "تاشلحيت" أو "تاسوسيت" المنتشرة بجنوب المغرب، وقد أعدّه الباحث أيضاً لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات، وصدر عن معهد الدراسات الإفريقية بباريس⁽⁶⁶⁾؛

- المعجم الفرنسي - البربري (لهجة النتيفة)⁶⁷ لموريس دراي (Maurice Dray) سنة 1998م؛

- معجم الجذور الأمازيغية⁶⁸ لكمال نايت زراد سنة 1999م؛

- المعجم الأمازيغي (لهجة أيت مرغاض: أيت يافلما) لأحمد حدّاشي سنة 2000م⁽⁶⁹⁾؛

- المعجم الاعتيادي السوسي لعبد الله بونفور وعبد الله بومالك سنة 2001م⁽⁷⁰⁾.

- المعجم الرفي - الفرنسي⁷¹ لمحمد سغوال، وهو عبارة عن رسالة جامعية أعدها الباحث لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة عبد المالك السعدي بتطوان في الموسم الدراسي 2001 - 2002م تحت إشراف ميلود الطايفي وفيرديناند بينطوليا

⁶³ Miloud Taifi, Dictionnaire Tamazight – Français (Parler du Maroc Central), Paris: L'Harmattan, 1991.

⁶⁴ Bennacer Oussikoum, Dictionnaire Tamazight-Français (parler des ayt Wirra du Maroc central), Rabat, El Maarif El jadida, 2013.

⁶⁵ Driss Azdoud, Lexique Commun des Ait Hadiddou du Haut - Atlas -Maroc central, Thèse de Doctorat d'Etat, (El jadida: Université Chouaib Doukkali, 1997).

⁶⁶ Abdella Boumalk, Dictionnaire Essoussi, Paris, INALCO, 1996.

⁶⁷ Dictionnaire Français – Berbère (Dialecte des Ntifa)

⁶⁸ Dictionnaire des Racines Berbères

⁶⁹ Ahmed Haddachi, Dictionnaire de Tamazight -Parlers des Ayt Merghad (Ayt Yafelman), Salé: Beni yeznassen, 2000.

⁷⁰ Abdella Bounfour, & Abdella Boumalek, Vocabulaire Usuel de Tachelhit, Rabat: Centre de Tarik Ibn Zyad, 2001.

⁷¹ Dictionnaire Tarift - Français

(Bentolila (F.))، عمل فيها إيراد الكلمة الرّيفيّة وشرحها بمقابلاتها الفرنسيّة والأمازيغيّة صوتيّاً وصرفيّاً وتركيبيّاً ودلاليّاً وتداوليّاً؛
 -المعجم الكونيّ ثنائيّ اللّغة: تّامازيغْت - فرنسيّ / فرنسيّ - تّامازيغْت⁷² لإدريس عبد الحفيظ سنة 2002م.
 -معجم الأفعال: تّاشلُجِيت - فرنسيّ (لهجة أمازيغ جنوب المغرب)⁷³ للمنتصر عبد الله سنة 2003م؛
 -المعجم البربريّ-الفرنسيّ⁷⁴ (لهجة بني يزناسن) لرّحو (ر.) سنة 2005م؛
 -معجم فيكيك⁷⁵ لأحمد سهليّ سنة 2008م؛
 -معجم تّامازيغْت - فرنسيّ (لهجة وسط المغرب) لعليّ أمانيس سنة 2009م⁽⁷⁶⁾؛
 -معجمي الأساسيّ (عربيّة - أمازيغيّة - فرنسيّة) لعبد الله قاسي، واحمد أيت إيدار، وعبد الله أزنتو، ولحسن التّازي، ومحمّد والديش سنة 2010م⁽⁷⁷⁾؛
 -معجم أفعال الأمازيغيّة: الاشتقاق والتّحويل (لهجة الأطلس الكبير المركزيّ لعلي بركات سنة 2012م⁷⁸؛
 -المعجم الأمازيغيّ - الفرنسيّ (لهجة فيكيك ونواحيها) لحسن بنعمارة سنة 2013م⁽⁷⁹⁾؛
 -معجم العالم البحريّ لمنطقة سوس⁸⁰ لدوشاينة أوعمّو سنة 2014م؛
 -المعجم المنطقيّ الأمازيغيّ - الفرنسيّ⁸¹ لميلود الطّايبيّ سنة 2016م؛
 -معجم المعاني الأمازيغيّ - العربيّ / العربيّ - الأمازيغيّ لمحمد أمحدوك سنة 2018م⁽⁸²⁾.

2-3-3- الصّناعة المعجميّة العلميّة - المؤسّساتيّة:

توخّت الأعمال القاموسيّة في هذه المرحلة توحيد اللّغة الأمازيغيّة ومعيّرتها، والتّقليص من هوّة الاختلافات اللّسانيّة بين مختلف التّنوعات الأمازيغيّة، سواء على

⁷² Dictionnaire Universel Bilingue Tamazight – Français / Français -Tamazight

⁷³ Dictionnaire des Verbes de Tachelhit –Français / Français - Tachelhit

⁷⁴ Dictionnaire Berbère – Français (Parler des Beni - Iznassen)

⁷⁵ Lexique de Figuig

⁷⁶ Ali Amanis, Dictionnaire Tamazight-Français (Parler du Maroc Central), dans amazighworld: www.amazighworld.org, 2009).

⁷⁷ عبد الله قاسي، معجمي الأساسيّ، عربيّة، أمازيغيّة، فرنسيّة، (الرّباط: مكتبة المعارف الجديدة، 2010).

⁷⁸ Dictionnaire des Verbes de l'Amazighe : Dérivation et Conjugaison (Parlers du Haut Atlas Central).

⁷⁹ Hassan Benamara, Dictionnaire Amazigh-Français, Parler de Figuig et ses régions, Rabat: El Maarif Al jadida, 2013.

⁸⁰ Dictionnaire du monde marin de la région du Souss.

⁸¹ Dictionnaire Raisonné Berbère–Français (Parlers du Maroc)

⁸² محمّد أمحدوك، معجم المعاني الأمازيغيّ - العربيّ / العربيّ - الأمازيغيّ، (الدار البيضاء: الدّار العالميّة للكتاب، دار الثّقافة، مغرب الكتاب، 2018).

المستوى الأصواتي أو الصوتي أو الصرافي أو التركيبي... وقد أشرفت على إصدارها مراكز متخصصة في البحث العلمي، مثل أكاديمية المملكة المغربية، التي أشرفت على نشر المعجم العربي - الأمازيغي لمحمد شفيق (الجزء الأول سنة 1990م، والثاني سنة 1991م، والثالث سنة 2000م)⁽⁸³⁾، والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية سنة (2003م)، الذي تبلورت مع تأسيسه مشاريع علمية نهضت بجميع مستويات الدراسة اللغوية والأدبية، كان فيها البحث في المعجم الأمازيغي محور الاهتمام. وذلك في إطار وحدات بحثية متكاملة: مركز التهيئة اللغوية (CAL)، ومركز البحث في الديداكتيك والبرامج التربوية، ومركز الدراسات التاريخية والبيئية... أشرفت على إصدار مجموعة من الأعمال المعجمية والمصادر القطاعية، لعل من أهمها:

المعجم الأمازيغي الجبولوجي (فرنسي - أمازيغي / أمازيغي - فرنسي): صدر تحت إشراف سعيد كامل سنة (2006م)⁽⁸⁴⁾؛
معجم اللغة الأمازيغية: أصدره مركز التهيئة اللغوية (CAL) سنة 2006⁽⁸⁵⁾؛
المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته: مسرد مصطلحي مهم أصدره مركز الدراسات التاريخية والبيئية تحت إشراف محمد أحمام سنة 2006⁽⁸⁶⁾؛
معجم الإعلام (عربي - أمازيغي - إنجليزي - فرنسي): مسرد خصه مركز التهيئة اللغوية بالمعهد للمصطلحات الإعلامية والاتصالية، ضم حوالي 774 مصطلحاً، وصدر سنة (2009م)⁽⁸⁷⁾؛
معجم النحو (فرنسي - أمازيغي - إنجليزي - عربي)، ضم حوالي 352 مصطلحاً، وصدر سنة (2009م)⁽⁸⁸⁾؛
معجم اللغة الأمازيغية (أمازيغي - عربي / عربي - أمازيغي): معجم تربوي صدر سنة (2009م)⁽⁸⁹⁾؛

⁸³ شفيق، المعجم العربي الأمازيغي.

⁸⁴ Said Kamel, Lexique Amazighe de géologie Français Amazighe, (I. R. Amazighe, Red.), (Rabat: Al maarif Aljadida, 2006).

⁸⁵ Ameer et al., Vocabulaire de la Langue Amazighe (Français - Amazighe), Rabat: Dar Al maarif Aljadida, 2006.

⁸⁶ محمد أحمام، المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2006).

⁸⁷ مفتاح عامر، ونورة الأزرق، وعبد الله بومالك، وعائشة بوججر، ورشيد لعبدلاوي، وخالد عسار، معجم الإعلام، الأمازيغية - العربية - الفرنسية - الإنجليزية)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2009).

⁸⁸ مفتاح عامر، وآخرون، معجم النحو (فرنسي - أمازيغي - إنجليزي - عربي)، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2009).

⁸⁹ نورة الأزرق، ومفتاح عامر، وعبد الله بومالك، وعائشة بوججر، ورشيد لعبدلاوي، معجم اللغة الأمازيغية (معجم عربي - أمازيغي)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2009).

مُصطلحيَّة الاتِّصال السَّمعيِّ البصريِّ: مسرّدٌ وظيفيُّ صدر سنة (2012م)، وضمّ حوالي 335 مدخلاً، عبّر عنها بالعربيَّة والفرنسيَّة والانجليزيَّة⁽⁹⁰⁾؛
 مُعجمٌ "المصطلحات الجغرافيَّة الأمازيغيَّة": معجمٌ أصدره مركز الدِّراسات التَّاريخيَّة والبيئيَّة بالمعهد سنة (2011م) تحت إشراف حسن رامو⁽⁹¹⁾؛
 المُعجم المدرسيُّ (Lexique Scolaire): عملٌ معجميُّ موضوعاتيُّ أصدره مركز البحث الدِّيداكتيكيِّ والبرامج التَّربويَّة سنة 2011م⁽⁹²⁾؛
 المُعجم النَّحويُّ للأمازيغيَّة: لمفتاحة عامر وفريق مركز التَّهيئة اللُّغويَّة بالمعهد، صدر سنة 2011م⁽⁹³⁾؛
 مُصطلحيَّة الإدارة (الأمازيغيَّة - العربيَّة - الفرنسيَّة): لمفتاحة عامر وأعضاء مركز التَّهيئة اللُّغويَّة بالمعهد، صدر سنة 2015م⁽⁹⁴⁾؛
 المُعجم العامُّ للغة الأمازيغيَّة: يعتبر أهمُّ الأعمال المعجميَّة التي أشرف المعهد على إصدارها منذ تأسيسه، بالنَّظر إلى حجمه ومدى استقصائه لمفردات اللغة الأمازيغيَّة، صدر سنة 2017م⁽⁹⁵⁾؛
 مُعجم المصطلحات القانونيَّة (أماوال أزرفان) سنة 2018م⁽⁹⁶⁾،

على سبيل الختم

يمكن القول بعد هذا الجرد السَّريع لأهمِّ الأعمال المعجميَّة الأمازيغيَّة في المغرب، على اختلاف مراحل ظهورها، إنَّه إذا ما استبعدنا عدداً من الرِّسائل والمعاجم الصَّغيرة والمختصَّة وبعض المسارد ثنائيَّة اللغة، توجد سبعة أعمالٍ يمكن اعتبارها أعمالاً رصينةً ورائدةً في البحث القاموسيِّ الأمازيغيِّ المغربيِّ، وهي: المعجم العربيُّ - الأمازيغيُّ لمحمد شفيق سنوات (1990م، 1991م، 2000م)، والمعجم الأمازيغيُّ - الفرنسيِّ لميلود الطَّايبي سنة (1989م)، والمعجم الأمازيغيُّ - الفرنسيِّ لبنَّاصر أوسيكوم سنة (1995م)، والمعجم المشترك لأيت حديدو بالأطلس المتوسَّط لإدريس أزودود سنة 1996م، والمعجم السَّوسيِّ لعبد الله بومالك سنة

⁹⁰ مفتاحة عامر، وخالد عنسار، مصطلحيَّة الاتِّصال السَّمعيِّ البصريِّ، منشورات المعهد الملكيِّ للثقافة الأمازيغيَّة، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2012).

⁹¹ حسن رامو، المصطلحات الجغرافيَّة الأمازيغيَّة، منشورات المعهد الملكيِّ للثقافة الأمازيغيَّة، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2011).

⁹² Fatima Agnaou, Lexique scolaire, (I. R. Amazighe, Red.), (Rabat: Al maarif Al jadida, 2011).

⁹³ Meftaha Ameer et al., 2011.

⁹⁴ مفتاحة عامر، ونورة الأزرق، وعبد الله بومالك، وعائشة بوحجر، ورشيد لعبدلاوي، مصطلحيَّة الإدارة (الأمازيغيَّة - العربيَّة - الفرنسيَّة)، منشورات المعهد الملكيِّ للثقافة الأمازيغيَّة، (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2015).

⁹⁵ مفتاحة عامر، ونورة الأزرق، وعائشة بوحجر، المعجم العامُّ للغة الأمازيغيَّة، منشورات المعهد الملكيِّ للثقافة الأمازيغيَّة، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2017،

⁹⁶ أموزاي وآخرون، معجم المصطلحات القانونيَّة، (الرباط: دار أبي رقرق للطباعة والنَّشر، 2018).

1996م، والمعجم الرَّيفي - الفرنسي لمحمد سغوال، 2002م، وأخيراً المُعجمُ العامُّ للغةِ الأمازيغيةِ الذي أصدره مركز التَّهيئة اللُّغويةِ بالمعهد الملكيِّ للثقافةِ الأمازيغيةِ سنة 2017م. ولا تعود أهميَّة هذه الأعمال فقط للطَّرْفيةِ التَّاريخيةِ التي ظهرت فيها علمياً ولسانيّاً، ولكن أيضاً لحشدها الكبير للمادَّة اللُّغوية، وللجودة التي عالجت بها المداخل المعجمية المحصاة، إضافة إلى جودة التَّعاريف والأمثلة؛ إذ اعتمد فيها كثيراً على الخزان اللُّغويِّ والسُّوسيوثقافيِّ للأمازيغيةِ بشكل عامٍّ. ومن ثَمَّة فهي مراجع لا مثيل لها، ولا محيد عنها، في أبهى دراسة لسانيةِ أمازيغيةٍ⁽⁹⁷⁾.

وعلى الرَّغم من هذه الجهود كُلِّها، لم تنتج اللِّكسيكوغرافيا الأمازيغية، في الأغلب العام، غير معاجم لهجّية، أصبح بعضها قديماً ويحتاج إلى تحيين، ولحدود السَّاعة، لا توجد بنيةٌ واحدةٌ وقارّةٌ لقاموسِ أمازيغيٍّ شاملٍ. ومن شأن صناعة معجم موضوعاتيٍّ للأمازيغيةِ أن يشكّل إضافةً نوعيّةً داخل حقل المعاجم الأمازيغية، على غرار معجم المعاني لمحمد أمحدوك. لا سيّما أن أكبر تحدٍّ علميٍّ يواجه المعجمية الأمازيغية هو توليد ترسائٍ مصطلحيّة في مختلف الموضوعات، وذلك في أفق صناعة معجم تاريخيٍّ للغة الأمازيغية، وإن كانت الطَّريق إلى ذلك طويلةً وصعبةً وشائكةً⁽⁹⁸⁾، بالنظر إلى تعدّد التَّنوعات اللُّهجيّة (تَامَازِيغْت، وتَارِيْفِيْت، وتَاشْلُجِيْت، وتَافِيْكِيْكِيْت...)، وشساعة منطقة الدِّراسة، ما ينتج عنه غنيٌّ وثرَاءٌ كبيرٌ على مستوى الخزان المعجميِّ، الذي يمكن تقسيمه إلى قسمين؛ يتمثّل القسم الأوّل في المعجم العامِّ (Pan-amazighe)، الذي تشترك فيه أغلب التَّنوعات الأمازيغية، والثاني يتمثّل في المعجم الخاصِّ، أي الذي ينتمي إلى رقعة جغرافيّة محدّدة... فضلاً عن المشكلات التي يطرحها التَّباین الأصواتيِّ بين التَّنوعات اللُّسانيةِ الأمازيغيةِ⁽⁹⁹⁾.

ولعلَّ الاستفادة من تجربة معاجم الموضوعات العربيّة باتت خياراً منهجياً وضرورةً علميّةً مؤكّدةً. خاصّةً أن المتأمل لمسار الحركة اللُّغوية العربيّة منذ نشأتها، لا بدّ، سيلاحظ مدى تقاطعها مع نظيرتها الأمازيغية، وتشابهها معها في مجموعة من الخصائص، لا سيّما خصيصة التَّعدّد اللُّهجيِّ التي ينبغي استثمارها لإعداد قاموسِ أمازيغيٍّ موحّدٍ ومُعيّرٍ، تسترشد به في المغرب شريحةٌ واسعةٌ من المهتمّين بالشأن اللُّغويِّ الأمازيغيِّ من تلاميذٍ وطلبةٍ وصحافيينٍ ومترجمينٍ ومبدعينٍ...

⁹⁷ Fatima Sadiqi, Grammaire berbère, (Rabat : Afrique Orient, 2004), 234 – 235.

⁹⁸ Azdoud, Lexique Commun des Ait Hadiddou du Haut - Atlas -Maroc central, 14.

⁹⁹ مفتاحه عامر وآخرون، خطٌ وإملائيّة الأمازيغية، ترجمة فؤاد ساعة، منشورات المعهد الملكيِّ للثقافة الأمازيغية، الرِّباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2010، 73.